(SUJHUS) مجلة جامعة سومر للعلوم الانسانية (ISSN: 2959-5436)
عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي الدولي الرابع للعلوم الانسانية والتربوية والنفسية الذي اقامته جامعة سومر للفترة من 7-8 نيسان 2025 /القسم الاول, الصفحات 452-463

الدّرس الصّوتي في كتاب معاني القرآن للكسائي (ت 189هـ)

م.د. اسراء كاظم عبد الكريم[1]*

[1]وزارة التربية، مديرية التربية الرصافة الأولى، الكلية التربوية المفتوحة، مركز الرصافة الدراسي، بغداد، العراق

الملخص:

يُعدّ الدرس الصوتي أحد المرتكزات الأساسية في الدراسات اللغوية العربية، وقد نشأ في ظلّ العناية الكبيرة التي أوليت لتلاوة القرآن الكريم وضبط نطقه، من أجل الحفاظ على سلامة الأداء وصحة المعنى. ومن بين أعلام هذا المجال يبرز الكسائي (ت 189هـ)، الذي مثّل ركناً مهمًّا في مدرسة الكوفة، وبرزت جهوده الصوتية بوضوح في كتابه "معاني القرآن". وقد ركّز هذا البحث على دراسة ثلاث ظواهر صوتية رئيسة في قراءته، هي: المماثلة، والإدغام، والإمالة.

تنوّعت المماثلة في قراءته بين التقدمية والرجعية، المباشرة وغير المباشرة، وأسهمت في تحسين الإيقاع الصوتي وتقليل الجهد العضلي أثناء النطق. أما الإدغام، فقد التزم فيه الكسائي بما قرّره سيبويه والكوفيون قبله، دون أن يضيف إليه إضافات جوهرية. في المقابل، برزت الإمالة في قراءته بوصفها ميدانًا واسعًا لاجتهاده، حيث اعتمد فيها على الفروق اللهجية، والتقارب الصوتي بين الحروف، وتنوّع السياقات القرآنية. وقد أظهرت الدراسة أن هذه الظواهر لم تُخلّ بالمعنى القرآني، بل أسهمت في إبراز مرونة اللغة العربية وثرائها، وقدرتها على الجمع بين الأداء الجمالي والدقة الدلالية في آنٍ واحد.

الكلمات المفتاحية: المماثلة، الإدغام ،الإمالة، الكسائي.

The phonetic lesson in the book “The Meanings of the Qur’an” by Al-Kisa’i (d. 189 AH)

Lecturer Dr. Israa Kazem Abdul Karim[1*]

[1]Ministry of Education, Rusafa First Education Directorate, Open College of Education, Rusafa Study Center, Baghdad, Iraq

Abstract:

The phonetic study is one of the main foundations in Arabic linguistic studies. It emerged amid the great care given to the recitation of the Holy Qur’an and the regulation of its pronunciation, in order to preserve the accuracy of performance and the clarity of meaning. Among the prominent figures in this field is Al-Kisa’i (d. 189 AH), who represented a significant pillar in the Kufan school, and whose phonetic efforts clearly appeared in his book Maʿānī al-Qurʾān. This research focused on the study of three main phonetic phenomena in his recitation: assimilation, merging (idghām), and inclination (imāla).

Assimilation varied in his reading between progressive and regressive, direct and indirect, and it contributed to improving the phonetic rhythm and reducing muscular effort during speech. As for merging, Al-Kisa’i followed what Sibawayh and earlier Kufan grammarians had established, without significant additions. In contrast, inclination was a prominent field of his independent application, relying on dialectal differences, phonetic closeness between sounds, and the diversity of Qur’anic contexts. The study showed that these phenomena did not affect the Qur’anic

* **Email address: Asraaalshare@gmail.com**

meaning but rather reflected the flexibility and richness of the Arabic language and its ability to combine aesthetic performance with semantic precision.

Keywords: phonetic lesson, similarity, assimilation, imala, al-Kisa'i.

المقدمة:

الحمد لله الذي عظمت من موضع الفكر جلالته, وجلت عن موضع الهمم عزته, وارتفعت عن مشابهة الخلق صفته, وضعفت مدارك الأفهام حكمته, أحمده على نعمه المتوالية الظاهرة والباطنة, والصلاة والسلام على سيد الخلق محمد وآله الأطهار.

أمّا بعد.

يُعدُ المستوى الصّوتي المستوى الأوّل الّذي تقوم عليه باقي المستويات اللّغويّة (الإفراديّة, والتّركيبيّة) , ومع نزول القرآن تحول اهتمام العرب من لغة الشِّعر إلى لغته, فأولوه عناية فائقة, وراحوا يعلمون أبناءهم تلاوته, والنّطق الصّحيح للأصوات وإخراجها من مخارجها , فكانت بداية الدّرس الصّوتي عند العرب مع نزول القرآن الكريم, حيث اهتم علماء التجويد والقراءات بضبط تلاوة القرآن؛ ليؤدي ذلك نصيب من جهود علماء اللّغة والنّحو الّذينَ كانوا يشكلون مجموعة من المدارس, ومن أشهرها البصرة والكوفة.

ومن قرّاء ومشايخ مدرسة الكوفة (الكسائي ت 189هـ) الّذي كان يُعد وتد هذه مدرسة ومن أشهر علمائها فقد كانت له جهود لا تغفل على أي من أراد أن ينهل من علوم العربيّة المختلفة .

وفي هذا البحث المتواضع سوف نسلط الضّوء على الجهود الصّوتيّة له في كتابِهِ الشهير (معاني القرآن) راجين من الله التّوفيق والسّداد.

المحور الأول
نبذة مختصرة عن حياة الكسائي

هو عليّ بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي، ولقّب بأبي الحسن. وهو من الموالي، فارسي الأصل، وأحد أئمة الكوفيين في النحو واللغة والقراءات. تلقّى النحو عن الخليل بن أحمد الفراهيدي في البصرة، كما تلقّاه أيضًا عن الأعراب في البوادي بعد وفاة شيخه، حتى غدا المؤسس الحقيقي لمدرسة الكوفة في النحو، وإن كانت بداياتها على يد أبي جعفر الرؤاسي.[1]

أما القراءات، فقد أخذها عن أئمتها في الكوفة، وكان من أبرز شيوخه حمزة بن حبيب الزيات[2] وقد قيل إن الكسائي سُمِّي بهذا اللقب لأنه كان يصنع الكساء، وقيل: لأنه كان يلبسه ويجلس في حلقة شيخه حمزة، فكانوا يقولون: "أعرضوا عليّ صاحب الكساء".[3]

وقد ترك الكسائي عددًا كبيرًا من المؤلفات اللغوية، منها: معاني القرآن، مختصر النحو، كتاب القراءات، كتاب العدد، كتاب النوادر الكبير، الأوسط، الصغير، كتاب الهجاء، مقطوع القرآن وموصوله، كتاب المصادر، الحروف، وكتاب الهاءات".[4]

ومن صفاته: الثقة بالنفس، والدقة، والعدل، وسعة العلم؛ إذ قال فيه الإمام الشافعي:

"من أراد أن يتبحّر في النحو، فهو عيال على الكسائي"[5] توفي سنة 189هـ.[6]

وللتمهيد في الدراسات الصوتية عند الكسائي، نُشير إلى أن علم الصوت يُعرف بأنه العلم الذي يدرس الأصوات اللغوية من حيث مخرجها، وكيفية إنتاجها، وصفاتها، والعلاقات التأثيرية المتبادلة بينها عند تركيبها في الكلمات والجمل. كما يدرس القوانين التي تحكم هذه التأثيرات في السياق الكلامي المتصل.[7]

المحور الثاني
الدّرس الصوتي عند الكسائي

إن من الظواهر الصوتية التي تميزت بها قراءة الكسائي في القراءات القرآنية كثيرة، منها رؤيته أن (الواو والياء) أختان عند العرب، وأنّهما اكتسبتا صفة التّآخي؛ لأنّ كلَّ واحدةٍ منهما تنوب عن الأخرى، أو تُبدل منها إبدال الألف من الواو، كما في "وال"، أصلها عند الكسائي "واو" بدليل تصغيرها عند بعضهم "أويل".[8]

وقد اختلف اللغويون العرب في وقوع الإبدال، فمنهم من اشترط وحدة الحيّز، أو قرب المخرج في الصوتين المبدلين، ومنهم من جوَّز وقوعه في الأحرف المتقاربة، ولو كانت من مخارج متباينة.[9]

ونجد الفرق الدلاليّ بين مباني الألفاظ في حالة حدوث ظاهرة الإبدال بين أحد الصّوامت أو تغير الضّبط الحركي بين الصّوائت القصيرة، وقد وقف الكسائي أمام الكثير من ظواهر تغير الضّبط الحركي، الّتي تكون ذات أثر في تغير دلالة الكلمة، والّتي تثبت معها دلالة الكلمة مع اختلاف ضبط بعض الحروف المعروفة عن قراءة الكسائي التي تجمع بين خصائص كثيرة من القراءات القرآنيّة. ويمكن إجمال الظّواهر الصّوتيّة لقراءة الكسائي من خلال الموضوعات الآتية: المماثلة، الإمالة، وتغير البنية المقطعية، في كتابهِ معاني القرآن.[10].

ومن الظواهر الصوتية عند الكسائي:

أولًا: المماثلة

لغةً: تعني المساواة بين المتفقين، وشَبَه الشيء في المثال والقَدْر ونحوه حتى في المعنى.[11]

اصطلاحًا: هي "تأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض في المتصل من الكلام، فحين ينطق المرء بلغته نطقًا طبيعيًا لا تكلّف فيه، نلحظ أن أصوات الكلمة الواحدة قد يؤثر بعضها في البعض الآخر".[12]

وقد يخضع الكلام المتواصل لتأثر المماثلة، فالأصوات تتأثر بالتشابه بينها، ويزداد ذلك من مجاورتها للصوت القريب في الصفات أو المخرج.[13]

ونجد ملامح الصّوت الواحد في قراءة الكسائي قد تتغير لمماثلة صوت مجاور له، وقد يكتسب هذا الصّوت بعض ملامح الصوت المماثل أو كلها، فقال الفراء: "حكى الكسائي أنّه سمع العرب تُبيّن اللّام – يعني لام التعريف – عند كلّ الحروف إلّا عند اللّام مثلها أو الرّاء والنّون".[14]

ولما كانت المماثلة تقسم على تقدمية ورجعية بحسب الاتجاه، ومباشرة وغير مباشرة بحسب المجاورة، فإنّ المماثلة في قراءة الكسائي جاءت على النحو الآتي:

أ ـ المماثلة التّقدمية المباشرة

يتأثر الصّوت بصوت يتبعه دون وجود فاصل بينهما. وإن هذا النّوع من المماثلة نجده قليلاً في قراءة الكسائي، ومن أمثلتها قراءته لـ "قيل" و"غيض" بالإشمام، الذي هو جعل "الياء" – وهي حركة أمامية طويلة – مركبة من حركتين: الضّمة والكسرة[15]

أما المماثلة بين اللفظين فتظهر بتأثير "القاف، والغين" في الحركة التي بعد كلّ منهما، وهي "الياء". فالقاف والغين صوتان خلفيان، وحجرة رنين كلّ منهما في الجزء الأمامي من الحجرة الفموية، وأما "الياء" فهي صوت أمامي، وحجرة رنينه في الجزء الخلفي من الحجرة الفموية، مما يحتاج إلى جهد في النطق؛ لذا أُشمت "الياء" ضمًّا، أي أصبحت ما يُسمى الحركة المعيارية الثانوية الأولى؛ "وهو أن اللسان يتخذ الوضع الذي يكون عليه عند نطق الكسرة، وفي اللحظة نفسها يتم تدوير الشفتين"[16]، وتُسمى بالحركة الأمامية الضيقة المدوّرة كما هو معروف في علم الأصوات.

ومن الأمثلة الأخرى على المماثلة التقدميّة المباشرة في معاني القرآن للكسائي:قراءته في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ [الأعراف: 49]، حيث تظهر الإشمام في "قيل" بنفس النمط الصوتي.[17]

وقراءته: ﴿فَلَمَّا قُضِيَ قَضَيْنَا إِلَيْهِ﴾ [الأنبياء: 78]، حيث يظهر ميل حركة الضاد في "قُضِيَ" نحو الأمام بسبب تأثير الصاد المفخمة متبوعة بياء، ويُلاحظ أثر التوجيه الصوتي التقاربي في الأداء، وقراءته أيضًا في: ﴿غِيضَ الْمَاءُ﴾ [هود: 44]، التي سبق ذكرها، وفيها أثر مماثلة تقدمية مباشرة كما بيّن الكسائي.[18]

ب ـ المماثلة التقدميّة غير المباشرة

هي تأثير صوت في صوت لاحق بينهما فاصل. ويُعدّ هذا النوع أكثر من النوع السابق عند الكسائي، ومن أمثلته أنّ الكسائي يقرأ "ميم الجمع" و"الهاء" التي قبلها بضمهما، كقراءته لقوله تعالى:

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ [البقرة: 61]، بضم الهاء والميم في "عليهمُ الذلة"[19]، وكذلك في:

﴿قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا﴾ [البقرة: 142]، و ﴿يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ﴾ [البقرة: 167].

وكان ضم صوت الهاء أصلاً في القياس، وكسرها صورة فرعية من الأصل: (على + هم) هنا لا يوجد مماثلة، إذ هي الأصل في قراءة الكسائي، والمماثلة تبرز في ضم ميم الجمع في هذه القراءة من أجل أن تماثل ضمة الهاء مع وجود فاصل بينهما، وهو حرف الميم الذي لا يمكن ضمه مطلقًا. فهو يضم ميم الجمع إذا كانت متبوعة بهمزة وصل، وهذا هو المقصود بعبارة "متبوعة بساكن".[20]

كما أنه لا يضم ميم الجمع إذا كانت متبوعة بصامت، كما في قوله تعالى: ﴿أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ﴾ [الفاتحة: 7]، فهو يُسكن ميم الجمع في "عليهم"، ويسكنها إذا كانت متبوعة "بالياء اللينة"، كما في قوله: ﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: 7]. وإنه لا يضم حتى "الهاء" في (عليهِم) إلا إذا كانت متبوعة بهمزة وصل. فالمماثلة بوجود الضمتين رهينة سياق محدد.[21]

أما المماثلة التّقدميّة غير المباشرة في قراءة الكسائي، فنجدها في قراءته ﴿مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النحل: 78]، بكسر الهمزة في "أمّهاتكم" وفتح الميم المشددة عند الوصل فقط، من أجل أن تماثل كسرة "النون".[22]

ج ـ المماثلة الرجعيّة المباشرة:

وهي تأثير الصوت على صوت قبله دون وجود فاصل بينهما. وهذا النوع من القراءة كثير عند الكسائي. ومن أمثلته أنّه قرأ "الصّاد" بالجهر في "أصدق"، في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا﴾ [النساء: 122]، وصوت "الصّاد" في "يصدر"، في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ [الزلزلة: 6]، ويسمي علماء القراءات هذه الظاهرة "إشمام الصّاد زايًا".[23]

فالصّاد صوت أسناني لثوي رخو مهموس مفخّم، يفقد صفة الهمس لمجاورته صوتًا مجهورًا يليه، وهو "الدال"، فيصبح مجهورًا بتأثيرها.[24]

كما أنه قرأ "السّين" في "يبسط، وبسطة" بـ"الصّاد"، لأن "الطاء" – وهو صوت مطبَق – قد أثّر في "السين" وهو صوت مرقّق غير مطبق، فأصبح "السين" صوتًا مطبقًا.[25]

ومن قراءته أيضًا كسر "الباء" في "بيوت"، و"العين" في "عيون"، و"الشّين" في "شيوخًا"، وذلك لأن الضّمة في هذه الأصوات الصوامت متبوعة بـ"ياء لينة، نصف حركة".[7]

والفرق بين "الياء" و"الضّمة" كبير؛ إذ إن الضمة صوت خلفي متوسط الارتفاع ضيق مدوّر، عند النطق بها تكون مؤخرة اللسان مرتفعة، أمّا الياء فهي صوت أمامي، يحدث عند ارتفاع مقدمة اللسان نحو وسط الحنك، ويحدث الحفيف المسموع لاحتكاك الهواء. لذلك تتحول الضّمة إلى كسر لتناسب الياء التي هي صوت أمامي.[26] .

ثانيًا: الإدغام:

تُعد ظاهرة الإدغام من أبرز الظّواهر الصّوتيّة الفنولوجية في اللّغة العربيّة, والّتي تُظهر تأثر الأصوات بعضها ببعض عند تجاورها , وقد حظيت هذه الظّاهرة بعناية العلماء لعلاقتها بالقراءات القرآنيّة واهتمامهم بها كان من باب الاهتمام بالقراءات القرآنيّة..[27]

الإدغام لغةً :

جاء في لسان العرب "إدخال اللّجام في أفواه الدّوابّ, وأدغم الفرس اللّجام: أدخله في فيه, وأدغم اللّجام في فمه, والإدغام إدخال حرف في حرف, يقال: أدغمت الحرف وأدغمته وأدغمته على وزن افتعلته [28]

اصطلاحًا:

هو "أن تصل الحرف السّاكن بحرف متحرك مثله من غير أن تفصل بينهما بحركة, أو وقف, فيصيران لشدة اتصالهما كحرف واحد , يرتفع اللّسان عنهما رفعة واحدةً شديدة , فيصير الحرف الأوّل كالمستهلك لا على حقيقة التّداخل والإدغام" [29]

وقد أشار الخليل بن أحمد (ت170هـ) إلى الإدغام بقوله: "أعلم ان الراء في إقْشعرَّ واسْبَكَرَّ هما راءان أدغمت واحدة في الأخرى, والتشديد علامة الإدغام" [30]

ويُعد مذهب الإدغام عند الكوفيين قليل, وهذا ما أكده السيرافي (ت368هـ) بقوله: "ومذهب الكوفيين في الإدغام قليل, ليس بعامٍّ مستوعبٍ للحروفِ والكلامِ عليها, ولم يصنفوا الحروف على ما صنَّفه سيبويه" [31]

ومن أبرز مواطن الإدغام عند الكسائي هي:[32]

إدغامه صوت استمراري في صوت استمراري كما في قولهِ تعالى:﴿ بَلْ نَتَّبِعُ {البقرة/170}﴾ التي قرأها الكسائي بإدغام اللّام في النّون, وقال الفراء: "العرب تدغم اللام عند النون, إذا سكنت اللام وتحركت النون, وذلك أنها قريبة المخرج منها" [33]

إدغام صوت وقفي في صوت استمراري نحو: ﴿فَقَدْ ظَلَمَ {الطلاق/1}﴾ فقد قرأها بإدغام الدّال في الظاء, لأن الدال صوت إنفجاري والظاء صوت رخو مجهور مفخم[34], ونحو قوله تعالى: ﴿ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ {البقرة/261}﴾, قرأها بإدغام التّاء في السّين, فإن صوت التاء لثوي شديد مهموس مرقق, وصوت السين رخو مهموس مرقق[35], ونحو:

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ {آل عمران/152}﴾, قرأها بإدغام الدّال في الصّاد, فصوت الدال أسناني لثوي مجهور, وصوت الصاد أسناني لثوي رخو[36], ونحو :﴿ وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ {ق/19}﴾ قرأها بإدغام التّاء في السّين, فالأوتار الصوتية لا تهتز عند نطق التاء، فهو صوت أسناني لثوي شديد مهموس مرقق, بينما السين صوت رخو مهموس مرقق.

إدغام صوت وقفي في صوت مركب نحو: ﴿ قَدْ جِئْتُكُم {آل عمران/49}﴾ فقد قرأها الكسائي بإدغام الدّال في الجيم, إن صوت الدّال صوت أسناني لثوي شديد (إنفجاري) مجهور مرقق, بينما صوت الجيم الصوت الوحيد المركب في العربية الفصحى يُسمع من مجيدي القراءات القرآنية صوت مجهور مرقق يجمع بين الشدة والرخاوة[37]، إدغام صوت استمراري في صوت وقفي وذلك في نحو: ﴿ إِذْ تَحُسُّونَهُم {آل عمران/152}﴾ , وقرأها بإدغام الذّال في التّاء, لأن مخرجهما ثقيل من طرف اللسان, فأنزل الإدغام بهما لثقلهما[38] , وأجاز سيبويه إدغامهما لأنهما بمنزلة إدغام الدال والتاء.[39]

أمّا إدغام صوت وقفي في صوت وقفي آخر, فذلك ليس خاص بالكسائي فقط بل يجمع عليه جميع القرّاء, وذلك مثل إدغام الدال في التاء نحو: ﴿لَقَد تَّابَ {التوبة/117}﴾, إذ يتغير الجهر إلى الهمس لوجه المماثلة فيهما, ويتحول صوت الدال المجهور إلى نظيرة المهموس وهو التاء, ثم أدغما, فصوت الدال أسناني لثوي شديد (إنفجاري) مجهور مرقق في حالة الاهتزاز, أما التاء صوت أسناني لثوي شديد مهموس مرقق لا تهتز الأوتار الصوتية في نطقه .[40]

إدغام الدال في الضاد في مثل: ﴿ فَقَدْ ضَلَّ {البقرة/108}﴾ فهو ليس من إدغام الوقفي في الوقفي, بل هو إدغام وقفي في استمراري؛ لأنّ الضاد في نطقهم استمراريًا رخوًا وليس وقفيًا, فمن صفاتها الجهر, والرخاوة, والإطباق, والاستعلاء, والاستطالة, وهذا ما أكده سيبويه في نطقها[41], أما الدال فالصوت يخرج مرقق عند نطقه. [42].

ثالثًا: الإمالة:

الإمالة لغة:

هي من الميل مصدر مال يميل ميلًا وهو أميل, وهي العدول إلى الشيء والإقبال عليه[43] ، وقد سماها الخليل الإجناح. [44]

اصطلاحًا:

هي عدول الألف عن استوائه, وجنوح به إلى الياء فيكون بين مخرج الألف المفخمة وبين مخرج الياء, وحسب قرب ذلك الموضع من الياء تكون شدة الإمالة[45]. أو ميل الألف نحو الياء إذا كان بعدها حرف مكسور, ودليل ذلك قول سيبويه: "الألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور, وذلك قولك عابد وماجد ومفاتيح وغذافر وهابيل وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها أرادوا أن يقربوا منها". [46]

أما ابن جني (ت392هـ), فيرى الإمالة "أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة فتميل الألف نحو الياء لضرب من تجانس الصوت"[47]. فهو يشير إلى إمالة الألف نحو الياء ترتب على تنحية الفتحة نحو الكسرة, وإن الإمالة "من خصائص لهجات عدة: تميم وقيس وأسد واليمن, ولا شك أن هذه القبائل أقامت أقوام منها في الكوفة وباديتها المشرفة على الصحراء, وسُئل الكسائي عن الإمالة شُهر بها, فقال: هذا طباع العربية". [48]

وقد أورد ابن الجزري (ت833هـ) رأيًا لم يعزه لأحد قال فيه: "وذهب آخرون إلى إطلاق الإمالة عند جميع الحروف, ولم يستثنوا شيئًا سوى الألف... وأَجَرْوا حروف الحلق والاستعلاء والحنك مجرى باقي الحروف, ولم يفرقوا بينها, ولا اشترطوا فيها شرطًا, وهذا مذهب أبي بكر بن الأنباري, وابن شنبوذ, وابن مقسم, وأبي مزاحم الخاقاني, وأبي الفتح فارس بن أحمد... وبه السيرافي وثعلب والفراء".[49]

وتقسم الإمالة إلى قسمين هما:

الأول: الإمالة الشديدة

وهي "تقريب الفتحة نحو الكسرة, والألف من الياء, من غير قلب خالص, ولا إشباع مبالغ فيه" [50]، وهو بذلك يشير إلى تنحية الفتحة نحو الكسرة والألف نحو الياء.

الثاني: الإمالة المتوسطة

وهي الإتيان بالحرف بين الفتح المتوسط, والإمالة الشديدة, وتسمى بالإمالة الصغرى والتقليل والتلطيف, والإمالة بين بين. [51]

وظاهرة الإمالة واضحة في قراءة الكسائي وقد انحصرت في المواطن الاتية : [52]

1ـ قرأ الكسائي بإمالة كلّ ألف منقلبة عن ياء في الأسماء والأفعال: كما في " استوى, فسواهنّ, فتلقى, تولى, أغنى, يجزاه, أعطى, فغشّاها, فتعاطى, أدهى, اشتراه, سعى, قضى, ترضى, اصطفى, ترضاها, نرى, اتقى, اعتدى, الهدى.

2ـ كما قرأ بإمالة ألف التّأنيث فيما كان على وزن:[53]

أ ـ "فُعْلى" بضم الفاء نحو: الأُنثى , السؤى, الأُخرى, البُشرى, الكُبرى.

ب ـ "فَعْلى" بفتح الفاء نحو : التَقوى, النَّجوى, شَتّى, أَسرى, سَكرى.

ج ـ "فِعْلى" بكسر الفاء نحو : إحدى, سِيماهم, الشِّعرى, الذِّكرى.

د ـ "فُعالى" بضم الفاء نحو : فُرادى, كُسالى.

هـ ـ "فُعالى" بفتح الفاء نحو : اليَتامى, الأَيامى, النَّصارى.

3ـ إمالة ألف اسم استفهام قرأها الكسائي نحو : أنّى , متى, كما في قولهِ تعالى: ﴿ أَنَّىَ يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا {البقرة/259}﴾ و﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ {مريم/8}﴾ و﴿ مَتَى هُوَ {الإسراء/51}﴾.

4ـ كما قرأ إمالة ألف "بلى" و"عسى" أينما وقعتا في القرآن الكريم.

5ـ قرأ إمالة كل ألف متطرفة مما ليس أصله ياء كما في : "ضحى, لا تضحى" , أو أن كانت متطرفة زائدة كما في "ياحسرتي" , "ياويلتي", "الرءيا" , "رُءياي".

6- وقرأ إمالة كل ألف هو لام الكلمة منقلبًا عن واو الفعل والاسم زائدتين على ثلاثة أحرف فصار رباعيًا أو أكثر كما في قولهِ تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا {الشمس/9}﴾ ﴿ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ {يونس/23}﴾ و﴿ إِذْ أَنجَاكُم {إبراهيم/6}﴾ و﴿ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ {العنكبوت/24}﴾.

7- وانفرد الكسائي بإمالة الألف في لفظة "مرضات, مرضاتي" والألف الأخيرة في "خطايا, خطاياكم , خطاياهم" ؛ وقد عدها سيبويه إمالة ممتنعة إذا كانت الألف مسبوقة بـ" ص , ض, ط, ظ, غ, ق, خ" .

8- ويميل الكسائي الكلمات المتبوعة بسكان عند الوقف فقط نحو: "نرى" فأنّه يميل الألف عندما لا يكون متبوعًا بساكن كما في قوله تعالى: ﴿ أَوْ نَرَى رَبَّنَا {الفرقان/21}﴾ فإذا كانت متبوعة بساكن كما في ﴿ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً إنّه يميل ألف "نرى" عند الوقف عليها, ولا يميلها عند الوصل كما في﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ {البقرة/87}﴾.

9- وأمال الكسائي الاسم المنتهي بتاء التّأني لأن الفتحة تمال عند الوقف عليها نحو : (خليفة , المسكينة, القوة, معدودة, جنة). هذا إذا لم يكن الصّوت قبل التّاء واحد مما يأتي: (ح, ق, ض, غ, ط, ع, ص, خ, ظ).

وقد علل ثعلب وقوف الكسائي على مثل خليقة , والآخرة بالامالة فيها الّذي رواه عن الانباري في قوله "وقال أبو العباس : كان الكسائي أمال هذه الحروف في الوقف ؛لأنّ الهاء أخت الياء والواو والألف وأن كانت متحركة , فإذا جاءت حركتها رجع إلى فتح ما قبلها" .[54]

10ـ وعزي للكسائي إمالة هاء السكت في نحو: كتابيهْ, وحسابيهْ, وماليهْ .[55]

النتائج والتوصيات

لقد بيّن هذا البحث مجموعة من النتائج التي توصّل إليها الباحث من خلال الدراسة والتحليل، وأهمها:

1- يتفرّد الكسائي في تعامله مع الظواهر الصوتية القرآنية بنهج قائم على مراعاة الأداء الصوتي والمعنى السياقي معًا.

2- اعتمد الكسائي في قراءته على ظواهر صوتية دقيقة كالهمس، والإدغام، والإشمام، والروم، والنقل، والسكت، والوقف والابتداء.

3- أظهر الكسائي دقّة في الأداء الصوتي من خلال ظواهر الإدغام بنوعيه (الناقص والمتماثل والمقارب)، ولا سيما في الحالات المرتبطة بتقارب الصفات والمخارج.

4- قدّم الكسائي نماذج أدائية واضحة في ظاهرة الإشمام، حيث تميز بالفصل بين السمعي والبصري في الأداء القرآني.

5- اعتمد الكسائي الوقف والابتداء بوصفهما أداتين لضبط الأداء والمعنى في آنٍ واحد، وحرص على ألا يُخلّ الوقف بالمعنى.

6- حافظ الكسائي على أصول اللغة في أدائه للقراءة، مع التزامه بمرونة صوتية تراعي التلقين والسماع والتلقي.

7- شفت الدراسة عن تكامل الأداء القرآني عند الكسائي بين الجانب الصوتي والبياني، مما يدلّ على فقه لغوي عميق.

8- بيّنت الدراسة أنّ الظواهر الصوتية عند الكسائي لم تكن مجرد أداء صوتي، بل هي مرتبطة بدلالات نحوية ومعنوية.

وفي ضوء هذه النتائج، توصي الدراسة بما يلي:

1- توسيع دائرة الدراسة لتشمل الظواهر الصوتية لدى بقية القرّاء العشرة، ومقارنة أساليبهم بأداء الكسائي.

2- دعوة الباحثين إلى توظيف المنهج الصوتي في تحليل القراءات القرآنية، وربطه بالتحليل الدلالي.

3- الاستفادة من الأداء الصوتي عند القرّاء في تعليم النطق العربي الصحيح لغير الناطقين بالعربية.

4- إنشاء معاجم متخصصة بالظواهر الصوتية في القراءات، يكون فيها دور كل قارئ واضحًا ومفصّلًا.

5- تشجيع الدراسات التطبيقية التي تُبرز أثر الظواهر الصوتية في الفهم القرآني لدى المتلقي.

الخاتمة

يمثّل الدرس الصوتي أحد الميادين الدقيقة التي تُظهر تفاعل اللغة مع الأداء، وتكشف عن الحسّ الصوتي العالي لدى علماء العربية الأوائل، ولا سيما في سياق تلاوة القرآن الكريم وضبطه. وقد أثبتت هذه الدراسة أن الكسائي (ت 189هـ) كان من أبرز من عني بهذا الجانب، إذ لم تكن قراءته مجرد رواية، بل كانت اجتهادًا لغويًّا واعيًا، يستند إلى مقاييس دقيقة في النطق والأداء.

وقد كشفت القراءة التحليلية لكتابه "معاني القرآن" عن تعمّقه في الظواهر الصوتية الثلاث التي تناولها البحث، وهي: المماثلة، التي وظّفها بما يحقق الانسجام بين الأصوات المجاورة؛ والإدغام، الذي التزم فيه بما قرّره النحاة والقرّاء من قبله؛ والإمالة، التي تميّز بها بوضوح، وعبّرت عن إدراكه الفارق بين اللهجات والبيئات الصوتية.

لقد خلص البحث إلى أن الكسائي لم يكن تابعًا تقليديًا لمن سبقه، بل كان قارئًا مبدعًا، اختار من أوجه الأداء ما يخدم دقة التلاوة وجمال اللفظ. كما أظهرت الظواهر الصوتية التي تبنّاها كيف يمكن للغة أن تظل مرنة ومتفاعلة دون أن تخلّ بالمعنى. وهذا ما يجعل دراسة الصوتيات القرآنية في تراثه مجالًا خصبًا لفهم العلاقة بين اللغة والأداء، وبين البيان والمعنى، وهو ما تحتاج إليه الدراسات الصوتية المعاصرة التي تسعى لربط التراث بالتقنية الصوتية الحديثة.

الهوامش:

[1] وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، دار صادر، بيروت، ط1، 1993، ج2، ص457

[2] المدارس النحوية، أحمد شوقي، دار المعارف، القاهرة، 1976، ص53

[3] طبقات النحويين واللغويين، محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1973، ص139.

[44] تحليل الظواهر الصوتية في قراءة الكسائي، سمير شريف ستيتية، مجلة جامعة الملك سعود، م6، ع1، 1994، ص87–117.

[5] غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين ابن الجزري، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 2006، ج2، ص95.
[6] المزهر في علوم اللغة، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ج2، ص463.
[7] المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997، ص13
[81] شرح شافية ابن الحاجب لنظام الدين النيسابوري، الإستراباذي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1975، ص257
[9] الدراسات اللغوية عند العرب، محمد آل ياسين، مجلة اللسان العربي، الرباط، مج14، 1980، ص468
[10] معاني القرآن، الكسائي، تحقيق: عيسى شحاته، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1989، ص28.
[11] كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ج4، ص118.
[12] الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة النهضة، القاهرة، ط4، 2002، ص106.
[13]يُنظر: المرجع نفسه والصفحة.
[14] المهذب في القراءات العشر، محمد محمد المحيسن، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1978، ص48.
[15] تحليل الظواهر الصوتية في قراءة الكسائي، سمير شريف ستيتية، مجلة جامعة الملك سعود، م6، ع1، 1994، ص93.
[16] معاني القرآن، الكسائي، مرجع سابق، ص95.
[17] يُنظر: المرجع نفسه، ص148.
[18] يُنظر: المرجع السابق ، ص212.
[19] تحليل الظواهر الصوتية في قراءة الكسائي ،ص94.
[20] المرجع نفسه، ص95.
[21] التيسير في القراءات السبع، عثمان الداني، تحقيق: أوتو برتزل، دار الكتاب العربي، بيروت، 1985، ص18.
[22] علم الأصوات اللغوية، مناف مهدي محمد، عالم الكتب، بيروت ،ط1، 1998،ص100-102.
[231] المرجع السابق، ص60-68.
[24] المرجع نفسه، ص68.
[25] يُنظر: تحليل الظواهر الصوتية عند الكسائي، 95.
[26] يُنظر: علم الأصوات اللغوية، 100- 101.
[27] المرجع نفسه، ص68.
[28] لسان العرب ، ابن منظور، دار صادر، بيروت ،272/5، د ت، مادة دغم)
[29] شرح المفصل، ابن يعيش، تحقيق: إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 10،221/2011.
[30] العين، الخليل بن احمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال, بيروت،1998، 49/1.
[31]السوافي، أبو سعيد. (1998). ما ذكره الكوفيين من الادغام. (صبيح التميمي، المحرر) دار الشهاب الجزائر،ص132.
[32] تحليل الظواهر الصوتية في قراءة الكسائي ،ص105-106..
[33] القراءات العشر وتوجيهها من طريق الشاطبية والدرة، الكسائي، تحقيق: عبد العال سالم مكرم ،دار الفكر، دمشق 2،353/1989
[34] احكام النون الساكنة والتنوين ،محمد عبد القادر، دار الطباعة القاهرة،1998، ص58-60.
[35] المرجع نفسه،ص60-67.
[36] المرجع نفسه،ص 60- 68.
[37] المرجع نفسه،ص60-78.
[38] تحليل الظاهر الصوتية في قراءة الكسائي، ص 105-106.
[39] العين، 462/4.
[40] احكام النون الساكنة والتنوين، ص 60-61.
[41] العين، 434/4.
[42] احكام النون الساكنة والتنوين، ص 60-61.
[43] العين، 177/4.
[44] العين ،278/3.
[45] ا. الفكر الصوتي عند ابن دريد والكوفيين ،خليل إبراهيم العطية، (2008) بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، الموسوعة الثقافية ص 91.
[46] العين،259/2.
[47] ابن جني، أبو الفتح عثمان . (2000). سر صناعة الإعراب ، ابن جني، أبو الفتح عثمان . (2000)، بيروت: دار الكتب العلمية ،52/1.
[48] الفكر الصوتي عند ابن دريد والكوفيين، ص93.
[49]غاية النّهاية في طبقات القرّاء شمس الدين بن الجزري. (2006). مكتبة ابن تيمية ،86/2.
[50]الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 91/1.
[51] التيسيير في القراءات السبع، ص14.
[52]اتحاف فضلاء البشر، شهاب الدين أحمد الدمياطي ، (2006)، (المجلد 3). بيروت: دار الكتب العلمية ،ص 248-252..
[53]سراج القارئ المبتدى وتذكار القارئ المنتهي عليّ بن عثمان القاصح. (1954)، (المجلد 3). القاهرة: دار النوادر للنشر والتوزيع. ، ص154
[54]إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل ، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، (1971). (محي الدين عبد الرحمن رمضان، المحرر) دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، 401/1.
[55]أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ابن هشام، أبي محمد عبد الله جمال الدين . (1989). بيروت: منشورات المكتبة العصرية.

المصادر والمراجع

- القران الكريم
- ابن يعيش، موفق الدّين. (1998). شرح المفصل . بيروت: عالم الكتب.

- ابن الجزري، شمس الدين. (2006). غاية النّهاية في طبقات القرّاء. مكتبة ابن تيمية.
- ابن الجزري، شمس الدين. (2009). النشر في القراءات العشر. (الجليل علي محمد الضباع، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن النديم، محمد (1993). الفهرست. بيروت: دار المعرفة.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان . (2000). سر صناعة الإعراب (المجلد 1). بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين. (1993). وافيات الأعيان. بيروت: دار صادر .
- ابن منظور، محمد مكرم. (1956). لسان العرب . بيروت : دار صادر للطباعة والنّشر.
- ابن هشام، أبي محمد عبد الله جمال الدين . (1989). أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. بيروت: منشورات المكتبة العصرية.
- ال ياسين، محمد. (1980). الدّراسات اللّغوية عند العرب . مجلة اللّسان العربي.
- الإستر ابادي، حمد بن الحسن الرضي. (1975). شرح شافية ابن الحاجب لنظام الدّين النّيسابوري . بيروت: دار الكتب العلمية .
- الانباري، أبو بكر محمد بن القاسم. (1971). إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل . (محي الدين عبد الرحمن رمضان، المحرر) دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية.
- أنيس، إبراهيم. (2002). الأصوات اللغوية. مصر: مكتبة النهضة,.
- الحمد، غانم قدوري. (2001). أبحاث في علم التجويد. دار عمار للنشر والتوزيع.
- الخالديّ، علاء حسين عليّ. (1998). البحث الصّوتي عند الكوفيين ، رسالة ماجستير . الجامعة المستنصرية/ كلية التربية- قسم اللّغة العربيّة.
- الداني، أبو عمر. (2002). الفتح والإمالة, أبو عمر الداني, تح: أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي, د.ط, د. ت. (أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، المحرر) بيروت: دار الفكر.
- الدّاني، عثمان. (1985). التّيسير في القراءات السّبع. (أوتوبرتزل، المحرر) بيروت: دار الكتاب العربي.
- الدمياطيّ، شهاب الدين أحمد. (2006). اتحاف فضلاء البشر (المجلد 3). بيروت: دار الكتب العلمية.
- الزبيدي، محمد بن الحسن. (1973). طبقات النحويين واللغويين. (محمد أبو الفضل إبراهيم، المحرر) القاهرة: دار المعارف.
- ستيتية، سمير شريف. (1994). تحليل الظواهر الصوتية في قراءة الكسائي. مجلة جامعة الملك سعود، 6(العدد 1).
- السوافي، أبو سعيد. (1998). ما ذكره الكوفيين من الادغام. (صبيح التميمي، المحرر) دار الشهاب الجزائر.
- السيوطي، جلال الدين. (1974). الإتقان في علوم القرآن. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- السيوطي، جلال الدين. (1998). المزهر في علوم اللغة. (محمد احمد جاد المولى، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.
- شوقي، أحمد. (1976). المدارس النحوية. القاهرة: دار المعارف.
- عبد التواب،.رمضان (1997). المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي (المجلد 3). القاهرة: مكتبة الخانجي.
- العطية، خليل إبراهيم. (2008). الفكر الصوتي عند ابن دريد والكوفيين. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، الموسوعة الثقافية.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (2003). كتاب العين (المجلد 1). (عبد الحميد هنداوي، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

- القاصح، عليّ بن عثمان. (1954). سراج القارئ المبتدى وتذكار القارئ المنتهي (المجلد 3). القاهرة: دار النوادر للنشر والتوزيع.
- الكسائي، عليّ بن حمزة. (1989). معاني القرآن. (عيسى شحاته، المحرر) القاهرة: دار قباء للطباعة والنّشر والتّوزيع.
- محمد، مناف مهدي. (1998). علم الأصوات اللغوية (المجلد 1). بيروت: عالم الكتب.
- المحيسن، محمّد محمّد. (1978). المهذب في القراءات العشرة. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية .